قراءة تاريخية للأفلام السينمائية في الجزائر

الأستاذ: بردق عبد الوهـاب
جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان

ملخص الدراسة:

السينما فن جماهيري حديث النشأة، فهو فن التصوير المتحرك و المعروف بالفن السابع، تطور و تبلورت لغته وتميز أسلوبه سريعا، استطاع بفضل تقنياته واستخدامه للوسائل التكنولوجيا المتطورة، أن يلقب بفن العصر الحديث، و أن يحتل مكانا مرموقا بين الفنون العريقة و إدماجها في قالبه؛ فالسينما تعتبر وسيلة من وسائل التعبير، و التي تميزت بتناولها مختلف المواضيع التي تعكس واقع الفرد ومحيطه المعاش، كما استطاعت أن تمتص جميع الخطابات من مختلف الحقول الثقافية، و جعلها عنصرا في البناء الفيلمي.

يعتبر الفيلم السينمائي وثيقة اجتماعية، تسهم في توثيق الأحداث السياسية والاجتماعية و الفكرية، و رسم ديناميكية المجتمع، كما تسهم في فهم العلاقة الجدلية بين الإنسان و المجتمع.

حظيت السينما الجزائرية منذ نشأتها بمكانة مرموقة على المستوى العربي والعالمي، فرغم الأزمات التي مرت بها، حيث أنها ولدت إبان الثورة التحريرية، إلا أنها نالت اهتماما من قبل العديد من الدارسين و النقاد، فمن خلال تجاربها التي خاضتها، استطاعت أن تنتشر عبر وسائل الإعلام الدولية، وأن تاخد مكانتها في المحافل الدولية، ولعل خير دليل على ذلك، حصولها على السعفة الذهبية في مهرجان كان الدولي عام 1975، للفيلم " وقائع سنين الجمر" للمخرج محمد لخضر حامينة. كما ارتبطت السينما الجزائرية بمحيطها الجغرافي و السياسي و الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، إلا أنها في الآونة الأخيرة تراجعت و تذبذبت الأعمال السينمائية في الجزائر، وهذا راجع إلى عدة أسباب، كهجرة المخرجين، وعدم وعي الجمهور بدور السينما، ضيق حيز التعبير، ضف إلى ذلك العشرية السوداء (فترة التسعينيات).

لابد من اهتمام النقاد والدراسيين والمهتمين بمجال السينما، وان ينهضوا بهذا الفن، و الذي يحمل في طياته عدة أهداف منشودة تعمل على رقي و ازدهار تفكير المجتمع الجزائري، و هذا من خلال دراستها مواضيع الساعة.

الكلمات المفتاحية: قراءة، تاريخ، الفيلم، السينما.

Abstract

The cinema is a modern art of art. It is the art of mobile photography known as the seventh art. It developed and crystallized its language and distinguished its style quickly, thanks to its technology and its use of high technology means, to be known as modern art and to occupy a prominent place among the ancient arts ; Cinema is a means of expression, characterized by dealing with various subjects that reflect the reality of the individual and its living environment, and was able to absorb all the speeches from different cultural fields, and made them an element in the construction of the film.

The film is a social document that contributes to documenting political, social and intellectual events, drawing the dynamics of society and contributing to understanding the dialectical relationship between man and society.

Since its inception, Algerian cinema has enjoyed a prominent position on the Arab and international levels. Despite its crises, it was born during the liberation revolution, but it has received the attention of many scholars and critics. Through its experiences, it has spread through the media And to take its place in international forums, and the best proof of this, the Golden Palms at the Cannes International Festival in 1975, the film "Chronicle of the years of the embers" directed by Mohamed Lakhdar Hamina. Algerian cinema has also been associated with its geographical, political, social, economic and cultural surroundings. Recently, however, the film business in Algeria has declined. This is due to several reasons, such as emigration of filmmakers, the public's lack of awareness of cinema, (The 1990s).

It is necessary to pay attention to critics, academics and those interested in the field of cinema, and to promote this art, which carries with it a number of goals that seek to promote and flourish

the thinking of Algerian society, and this through the study of current topics.
Keywords: reading; history; film; cinema.

مقدمة:

في عالم الإنسان ومحيطه، ظهرت عدة وسائل اتصالية، وأنماط و انساق تعبيرية متعددة، والتي تطورت باستمرار، بحيث سايرت مراحل وتطور المجتمعات البشرية، بتطور وسائل التكنولوجية و العلوم، ومختلف أنماط الفنون، والتي اعتمدت على مبدأ احتياجات ومتطلبات الفرد، ومن بين هذه الوسائل ما عرف بفن السينما.

تعتبر السينما من بين أهم وسائل التعبير و الاتصال، القادرة على نقل الأفكار، وتمرير الرسائل، و مخاطبة العقول، من خلال الصورة والحركة و الصوت و الزمن، وذلك بإعادة إنتاج و تركيب الواقع المعاش. فرغم مواكبة هذا الفن التطورات التكنولوجيا، و لاسيما في الدول المتقدمة، حيث أصبح فن مستقل مثل بقية الفنون، إلا انه لا يزال يعاني العديد من المعوقات، وخاصة في العالم المتخلف، كالسينما الجزائرية.

تبوأت السينما الجزائرية خلال فترة وجيزة من نشأتها المكانة اللائقة ضمن السينما العالمية، فقد تميزت من حيث الولادة و الهدف و المسار عن جميع تجارب السينما في الوطن العربي، بالرغم من أنها بدأت متأخرة نسبيا من حيث التاريخ عن تجارب السينما في كل من مصر و سورية و لبنان و العراق، كما أنها ولدت إبان الحرب التحريرية، إلا أن بعض التجارب التي خاضتها وجدت مكانها ضمن المحافل الدولية، كما أنها ارتبطت بمحيطها السياسي و الاجتماعي و الاقتصادي. فتاريخ السينما الجزائرية و محطاتها، جزء لا يتجزأ من تاريخ السينما العربية، و لكن الواقع أنها لم تنشأ و تتطور في مسار خطي مستقيم ومنتظم، فكانت بين التألق تارة و بين التراجع تارة أخرى. و بناءا على ما تقدم ذكره، سنحاول في هذا البحث ؛ التعرف على مراحل تطور السينما الجزائرية، بطرح السؤال الأتي:

ماهي المراحل التي مرت بها السينما الجزائرية ؟

1)- بدايات السينما في الجزائر قبل الثورة :

ظهرت السينما في الجزائر، فور ظهور السينماتوغراف على يد لومبير سنة 1895م، فبعد أيام قليلة من العروض السينمائية للاخوان لومبير بباريس، و مع بداية 1896، قام الفرنسي الجزائري المولد " فليكس مسجيش " Felix Mesguiche بتصوير مشاهد من الجزائر العاصمة ووهران و عرضها على المستوطنين(1)، ولكن" سارت فيها عملية عرض الأفلام ببطء من بدايتها، و لم تسجل الصحافة إلا أسماء قليلة من الرواد اتو من فرنسا لعرض الأفلام، مثل البروفيسور "دافيد"، الذي عرض أفلام "ميليه" في الجمعية الادبية لمدينة وهران في سنة 1899، و رجل استعراض اسمه "جودار" أتى سائحا في سنة 1900، و لم تنشأ في الجزائر أية دار عرض سينمائي قبل 1908، و بحلول 1914 لم يتجاوز عدد دور العرض السينمائي بها سبع دور عرض"(2). فحسبت هذه البدايات للمستعمر الذي سخرها لخدمة مصالحه ووجوده، فكانت تخدم المستعمرين وليس للجزائرين علاقة بها، حيث كانت تزداد دور العرض السينمائية وفقا لمتطلبات هذه الفئة، فكلما ازداد عدد الاوربيين في الجزائر، انتشرت دور العرض السينمائية و زاد عددها حتى بلغ 150 دار عرض في سنة 1933، فتمركزت في المدن الكبرى التي كانت تقطنها الجالية الفرنسية، فكانت الافلام المعروضة تعكس ذوق المستعمرين(3).فاعتبرت هذه السينما كوسيلة من وسائل الإيديولوجيا الرامية إلى إثبات الشرعية الاستعمارية، تعمل على ترسيخ ثقافتها الفرنسية و محاربة الثقافة العربية الاسلامية، " فالمستعمر يهدف أساسا إلى أن يفرض على من استعمرهم قبول صورة الإنسان الادنى، ومعايشتها بدرجة ما"(4). ومن امثلة ذلك " السخرية من المستعمر: و من هذه الافلام نذكر: المسلم المضحك ، و علي ينفخ في الزيت ...(5).

يمكن تصنيف مضامين السينما الكولونيالة الى ثلاث مراحل مرت بها :

- المرحلة الاولى : هي مرحلة الفيلم الغرائبي، و هي المرحلة التي كان يصورفيها الفرد الجزائري على أنه كائن غريب يثيرفضول الاوربيين و تسليتهم، حيث استخدمت الطبيعة الجزائرية كخلفية او ديكورا جميلا، بحيثكان هدف هذه الافلام البحث عن الغرابة وعن المنظر الساحر، و هو ما جسده فليكس في اعماله، ومن بين هذه الافلام التي توحي بالغرابة فيلم "الواحة" و فيلم حديقة الله ، "فحجب العربعن الظهور فيتلك الافلام الروائية يعد بشكل ما انعكاسا نموذجيا لانعدام اهمية الجزائريين في الحياة المستعمرة"(6).

- المرحلة الثانية : هي مرحلة التحقير، حيث عملت السينما الكولونيالية على إبراز الأهالي كمخلوقات دونية غير قادرة على التفكير، و بحاجة ماسة الى من ينقدها، وذلك بتصويرالاوربي كشخصية منقدة و حاملة للحضارة، فكانت الافلام عبارة عن مغامرات بطولية تبرز قوة و نحضر الاوربي و ضعف و همجية الجزائري، ومن الافلام التي كانت تعكس ذلك : المسلم المضحك، علي ينفخ في الزيت، اضافة الى فيلم Tartarin de tarascon ل "B.Raymond" الذي صوره بيوسعادة حيث أظهرالشخصية الجزائرية على انها ساذجة و على درجة مضحكة من الغباء (7). كما يعتبر فيلم "وجوه محجبة ارواح مغلقة " visagevoilé ames closes " ل " henry roussel" من بين أكثر الأعمال التي شوهت الشخصية الجزائرية ، تناولها بشكل صريح من خلال شخصية القايد المحبة للملذات و القصص الغرامية التافهة، مع التركيز على تعاون القايد مع المستعمر وإعطائه كل ما يملك حتى نساؤه، و المراة دلالة على الهوية و الارض(8).

- المرحلة الثالثة: استعملت السلطات الفرنسية السينما كوسيلة للدعاية بشكل مدروس ومؤسس لمسيرة السينما الكولونيالية، فبعد إحداث 8 ماي 1945، و التي شاهدت غليان شعبي في كل من سكيكدة و قالمة و غرداية، فأثرت بشكل مباشر على قطاع السينما، و أصابت السلطات الاستعمارية بذعر شديد، خوفا من الثورة الشعبية، و حُملت السينما مسؤولية هذا التمرد في أوساط الشعب(9).

عملت السينما في الجزائر على تصوير العديد من الأفلام القصيرة حيث ان " قبل حرب التحرير وحتى عام 1946م لم يكن في الجزائر سوى مصلحة فوتوغرافية واحدة، وفي عام 1947 م أنشأ الفرنسيون مصلحة سينمائية أنتجت عددا من الأشرطة القصيرة عرضت وترجمت في أغلبيتها إلى لغتين،وهذه الأفلام تقسم إلى الأنواع التالية : أفلام تتعلق بالآداب والعادات الجزائرية-أفلام ثقافية-أفلام وثائقية-أفلام حول التربية الصحية-أفلام عن الزراعة -أفلام عن الدعاية السياسية(10)" . ومن أشهر تلك الأفلام " :قيصرية 1949 م، الإسلام 1949 م، العيد غير المنتظر 1959 م،أغنى ساعات إفريقيا الرومانية، هيبون الملكية، رعاة الجزائر" (11). وفي عام 1948أحدثت مصلحة الإذاعة السينمائية، وكانت هذه ا لمصلحة تضم مجموعة من القوافل لتحمل إلى الواحات البعيدة في جنوب الجزائر أفلاما مسلية. وهناك أفلام أخرى كفلمي

الصبيتان و اليتيمة و الهدف منها إضحاك الأوربي و ليس اكتشاف السكان الأصليين للبلد(12).

السينما أثناء الثورة :

مع انطلاق الثورة الجزائرية، ووعي الشعب الجزائري بأهمية هذه الوسيلة(السينما) في الدعاية و الدفاع عن حقوق الشعوب المنهوبة، بدأت السينما الجزائرية تخطو أولى خطواتها بطريقة سليمة، بحيث لعبت دورا هاما في النضال الذي خاضها الشعب من اجل التحرر.فقد " ولدت السينما الجزائرية في اثناء ثورة الجزائر، حينما نظمت فرق الجيش التحرير الجزائري إدارة سينمائية عسكرية أنتجت العديد من الجرائد السينمائية و الأفلام التسجيلية" (13)، فكانت أول فرقة فنية تابعة لجبهة التحرير الوطني، و التي خدمة القضية الجزائرية بكشف للرأي الدولي، عدالة القضية و شرعية الكفاح الوطني ضد الاستعمار. "ففي سنة 1957و بعد الاتفاق مع "رينيه فوتيه" و "عبان رمضان" تم انشاء اول مدرسة سينمائية جزائرية في اعالي الجبل "l'ecoledecinéma du maquis"بالولاية الاولى للمنطقة الخامسة و بالضبط في تبسة اطلق عليها اسم "فريد فريد" groupe farid"(14).فاخرج فيلمه الشهير"الجزائر تحترق – l'algerie en flammes" إذ أنتجه بين عامي 1957 و فيفري 1958 (فيلم قصير16ملم) مع شركة RDA (جمهورية المانيا الديموقراطية(15). ومن بين العروض التلفزيونية التي أنتجتها هذه المدرسة، ووزعت على شبكات تلفزيون البلدان الاشتراكية في تلك الفترة : شريط عن المدرسة نفسها، شريط عن ممرضات جيش التحرير، صور و مشاهد عن مهاجمة مناجم الونزة، و لم تتعدى هذه المدرسة أربعة أشهر،و في عام1960 -1961 اوجب على الثورة تطوير وتنظيم السينما، و ذلك بإنشاء لجنة السينما مرتبطة بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ،كما تم تأسيس مصلحة السينما للحكومة المؤقتة، وأخيرا أقامة مصلحة للسينما تابعة لجيش التحرير الوطني(16).

"وهكذا نجد أن السينما في الجزائر ولدت ومعها عوامل حيويتها كفن إنساني ملتزم بقضايا الناس والوطن، وقد حرصت على أن تحفظ أشرطتها في أماكن مأمونة ، وقد كان لا بد في هذه ا لمرحلة من جمع الأفلام خارج البلاد فهربت النسخ السلبية للأفلام المصورة، وجمعت في يوغوسلافيا وثائق مصلحة السينما التابعة لجيش التحرير الوطني ومصلحة السينما التابعة للحكومة ا لمؤقتة للجمهورية الجزائرية" (17).عرفت

هذه المرحلة انجاز أول الأفلام الجزائرية تماشيا مع الكفاح المسلح، ومن بين هذه الافلام : (18)

-ساقية سيدي يوسف: انتج عام 1958 وهو فيلم قصير أخرجه بيار كليمون وقام بالإدارة (التركي) وكان الإنتاج لبيار كليمون نفسه (النسخ السلبية للفيلم توجد لدى المنتج)

-اللاجئون:انتج عام 1958، وهو فيلم قصير من إنتاج وإخراج بيار كليمون.

-جزائرنا: فيلم طويل يعتمد على صور فيلم (حرية الجزائر) الذي أخرجه ساشافييرني عام 1947، وصور فيلم (أمة الجزائر)الذي أخرجه رونيه فوتييه في عام ١٩٥٥ وصور التقطتها شندرلي في الجبال. والفيلم من إخراج الدكتور شولي ، وجمال شندرلي ومحمد الأخضر

حمينة وإنتاج مصلحة السينما التابعة للحكومة ا لمؤقتة للجمهورية الجزائرية (النسخ السلبية موجودة في يوغوسلافيا).

-عمري ثماني سنوات: انتج عام 1961، وهو فيلم قصير أخرجه كل من يان واولغا لوماسون ورونيه

فوتييه، إنتاج لجنة موريس آودان، وهو من إعداد فرانز فانون ورونيه فوتييه.

-ياسمينة: انتج عام 1961 وهو فيلم متوسط ، أخرجه محمد الأخضر حمينة أنتجته مصلحة السينما التابعة للحكومة ا لمؤقتة للجمهورية الجزائرية.

-صوت الشعب: انتج عام 1961 من إخراج محمد الأخضر حمينة وجمال شندرلي وإنتاج مصلحة السينما التابعة للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية.

-بنادق الحرية: انتج عام 1961 من إخراج جمال شندرلي ومحمد الأخضر حمينة ، سيناريو :سارج ميشيل وإنتاج مصلحة السينما التابعة للحكومة ا لمؤقتة للجمهورية الجزائرية.

-خمسة رجال وشعب:انتج عام 1962 من إخراج رونيه فوتييه (النسخة السلبية توجد في تلفزيون جمهورية ألمانيا الد يمقراطية).

اتبعت السينما الجزائرية في هذه المرحلة نهج واحد، فكانت تنادي من اجل التحرر، كما عملت على دعم القضية الجزائرية، وإبراز فضائع الاستعمار التي ارتكبها في حق المدنيين العزل.

2)-السينما الجزائرية ما بعد الاستقلال :

اعتبرت مرحلة ما بعد الاستقلال المرحلة الانتقالية للسينما الجزائرية، و التي تحمل وجع المجتمع وتناقضاته و أماله و أحلامه، فقد واجهت السينما الجزائرية مشكلة التأسيس و التجهيز لقاعدة سينمائية من شأنها تحقيق إستراتيجية ثقافية وايديولوجية تحقق طموحات الشعب، لان الوضع العام للجزائر لم يعطي اهتمام للقطاع الثقافي ، فقد ولى اهتمام لأوليات أخرى أكثر ضرورة ، لكن و بالرغم من ذلك، استمرت السينما الجزائرية في إنتاج أفلام تمجد الثورة و تعالج مخلفات الحرب.فان حسب إحصائيات وزارة الثقافة ، قد شهدت الفترة 1957 إلى 1980 انجاز 194 فيلما طويلا و قصيرا و137 فيلما إخباريا تم انجازها في الجزائر، ليصل المجموع إلى 387 فيلما و شريطا ، فكانت نسبة الأفلام الاجتماعية 23بالمئة، والمضامين السياسية 21 بالمئة، و الافلام التاريخية 15 بالمائة، و المواضيع لاقتصادية 12 بالمائة، و المواضيع الثقافية 10 بالمائة ، والتقنية7 بالمائة ، و كان حض اللغة العربية 84 بالمائة ، و 13 بالمائة باللغة الفرنسية ، و 3 بالمائة اشرط صامتة(19)."فبلغ إنتاج الأفلام الطويلة حتى عام 1974 مثلا حوالي خمسة وعشرين فيلما، والإنتاج ا لمشترك حوالي ثلاثة عشر فيلما في الفترة نفسها،بالإضافة إلى تسعة أفلام من الأفلام القصيرة و المتوسطة الخيالية، وتسعة عشر فيلما للتلفزيون وعشرات الأفلام الوثائقية القصيرة .أما مراحل التطوير التالية للسينما بعد مرحلة البداية فكان منها تكوين لجنة السينما عام 1959 ومصلحة السينما عام1960 والإذاعة والتلفزيون وتكوين مركز السمعيات والبصريات عام 1962 ثم تتالت خطوات أخرى هامة وهي كما يلي"(20):

- عام1963: إنشاء الديوان الوطني للأحداث الجزائرية وإنشاء مركز التوزيع الشعبي (السينما ا لمتجولة).

- عام 1964 إنشاء ا لمركز الوطني للسينما وتبعه :تنظيم ورقابة الإنتاج والتوزيع وإنشاء المركز التجريبي للتوزيع الشعبي، ودار الآثار السينمائية الوطنية الجزائرية، وا لمعهد الوطني للسينما، وتأميم الاستغلال السينمائي.

- عام 1965 : إنشاء مصلحة السينما بالمحافظة السياحية للجيش الوطني الشعبي.

- عام 1967 : تكوين الديوان الوطني للتجارة والصناعة السينمائيين (إنتاج وتوزيع)، وإنشاء ا لمركز الجزائري للسينما (تنظيم-تفتيش- رقابة- برمجة- توزيع ثقافي-دار الآثار السينمائية- السينما ا لمتنقلة- نوادي السينما-التوزيع الشعبي)، بالإضافة إلى إصدار

قانون تنظيم الفن والصناعة السينمائية وإلغاء ا لمركز الوطني للسينما وا لمعهد الوطني للسينما حيث عهد به إلى البلديات.

- عام 1968 : إنشاء مركز التوزيع السينمائي.

- عام 1969 : احتكار الإنتاج والتوزيع لصالح الديوان الوطني للتجارة والصناعة السينمائية.

- عام 1974 : دمج ديوان الأحداث الجزائرية بالديوان الوطني للتجارة والصناعة السينمائية وتكليف هذا الديوان بإنتاج وتوزيع مجلة الأحداث المصورة.

- عام 1975 : إنشاء مديرية السينما والوسائل السمعية والبصرية بوزارة الأعلام والثقافة.

يمكن ان نحصي في مجال الافلام الوثائقية اكثر من ثلاثين عملا من بينهما فيلم "استفتاء عام 1962"، و افلام لمحمد اخضر حامينة،كفيلم "وعد جويلية"، وفيلم "نور للجميع"و"فيلم مرة أخرى" في 1963و فيلم "مكافحة الامية" في 1963و فيلم "عليك بالعناية"في 1964، و افلام أخرى لأحمد رشدي منها "ايادي كالعصافير"، وفيلم "اقرا"، وأفلام مشتركة لاحمد بوزيان و حامينة كفيلم "اعلان الحرب على بيوت القصدير"في 1964، وفيلم "حملة التشجير"في 1964، وفيلم "لكن في يوم من نوفمبر"،و فيلم "لبيك ايها الحجر الاسود"في1964، و فيلم"كوبا نعم"، وفيلم "القدس" في 1964، وفيلم "سوق الجزائ" لحمينة ، و قدم غوتي ددوش فيلم"الوان الجزائر" في 1965، و فيلم "الحج الى مكة" لعلي يحي، كذلك فيلم "تكلموا" لحمينة، وفيلم "شبيبة الثورة" ، و فيلم "حدار من الالغام" لاحمد بوزيان ،وفيلم" الأمير عبدالقادر"في 1966 لحمينة، وفيلم "الخطوات الاولى للعربي محمد(21).

و اما الأفلام الطويلة التي أنتجت في هذه المرحلة : "سلم حديث العهد لجاك شاربي 1964 م، الليل يخاف من الشمس لمصطفى بديع 1965 م، فجر المعذبين لأحمد راشدي سنة 1965 م، ريح الأوراس لمحمد الأخضر حمينة لسنة 1966 م، الطريق لمحمد سليم رياض سنة 1968 م، حسن طيرو لمحمد الأخضر حمينة سنة 1968م، الجحيم في سن العاشرة 1969 م، الخارجون عن القانون لتوفيق فارس 1969م، قصص من الثورة التحريرية لرابح العراجي سنة 1969 م، الأفيون والعصا لأحمد راشدي سنة 1970 م، تحيا يا ديدو لمحمد زينات سنة 1971 م، لكي تحيا الجزائر لمحمد عزيزي سنة 1972م، الغولة (اللي فات مات) لمصطفى كاتب سنة 1972

م، الأسرة الطيبة لجعفر دامرجي سنة 1972 م، عرق أسود لسيدي علي مازيف سنة 1972م، حرب التحرير من اخراج المصالح السمعية البصرية، دورية نحو الشرق لعمار العسكري سنة1972 م، منطقة محرمة لاحمد هلام، عطلة المفتش الطاهر لموسى حداد سنة 1973 م، الإرث لمحمد بوعماري سنة1974 م، هروب حسن طيرو لمصطفى بديع سنة 1974 م، وقائع سنوات الجمر لمحمد الأخضر حمينة سنة 1974 م (22) ".

في هذه المرحلة عالجت الأفلام السينمائية الجزائرية كل القضايا القومية،كما عالجت المواضيع الاجتماعية، بهدف التوعية و الإرشاد من اجل التطور و الرقي.

3)-السينما الجزائرية الجديدة:

انطلقت السينما الجزائرية الجديدة مع الجيل الثاني الذي عاصر بداية سنوات الاستقلال، فبعد عشر سنوات من الاستقلال (1972)، اذ بعد الثورة الصناعية والقرارات السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية التي اصدرتها الدولة كتأميم المحروقات، و مجانية العلاج، و إصلاح التعليم العالي، و التسيرالشتراكي للمؤسسات، وبعد انتاج مجموعة من الأفلام السينمائية و التي أنتجها التلفزيون الجزائري هي: عائلات طيبة من إخراج جعفر دامرج،العرق الأسود من إخراج سيد علي مازيف.، الفحام من إخراج محمد بو عماري، منطقة محرمة من إخراج احمد العالم،نوة من إخراج عبد العزيز طولبي، الطارفة من إخراج هاشمي شريف، الغاصبون من إخراج الأمين مرباح، المصب من إخراج محمد شويخ، يوميات عامل شاب من إخراج محمد افتيسان، بالقرب من الصفصاف من إخراج موسى حداد، والتي تميزت بالاقتراب من الواقع المعاصر للجزائر، اذ شهد مهرجان الأيام السينمائية بقرطاج عام 1972، مولد السينما الجزائرية بفضل فيلم الفحام الذي عرض بنجاح(23) وفيلم الحزية لمحمد حازرلي في 1977 (24).

كما مثل السينما الجزائرية فيلم عمر قتلته رجولته، وهو فيلم طويل مخرجه مرزاق علواش، عرض سنة1977 في برنامج السينما العربية بأرشيف الفيلم الفرنسي ، اذ حقق نجاحا كبير في العديد من المهرجانات الدولية

حيث عرض في أسبوع النقاد في مهرجان كان، وفي مهرجان السينما الشابة ببرلين، وفي مهرجان الدول الناطقة بالفرنسية، حيث فاز بالجائزة الأولى، وفي أسبوع الأفلام الجزائرية بدمشق .وهناك مجموعة أخرى من الأفلام

الجديدة للسينما الجزائرية في هذا الاتجاه ومنها: مغامرات بطل لمرزاق علواش،ليلى وأخواتها لسيد علي مازيف،
زيتون أبو الحيلات لنادر محمد عزيزي، تشريح مؤامرة لحمد سليم رياض،المفيد لعمار العسكري.(25)

في الثمانينات و بعد وفاة الرئيس هواري بومدين شهدت بروز وزوال العديد من المؤسسات السينائية، ففي سنة1984حل المكتب الجزائري لصناعة و تجارة السينما الذي انشأ عام 1967، اذ تم توزيع مهام المكتب إلى هيئتين منفصلتين، المؤسسة القومية لإنتاج السينمائي، والمؤسسة القومية للتوزيع ودور العرض، حيث تم التخلي عن الاحتكار، و بيعت العديد من دور العرض إلى القطاع الخاص، فأصبح بإمكان السينمائيين من إنشاء شركات الإنتاج الخاصة بهم(26).
ومن بين الافلام التي انتجت في الثمانينات : "رجل و نوافد" في 1982 لمرزاق علواش، وعندما انتقل الى فرنسا أنتج فيلم "حب في باريس" في1986، و قدم لخضر حامينة فيلم "ريح الامل" في 1983، و" الصورة الخيرة" في 1985، كما جسد فيلم "ملحمة الشيخ بوعمامة"لبن عمر بختي في1983، فيلم"علي في بلاد السراب في 1981لمحمد راشدي،، وفيلم "الانقطاع" في 1982 لمحمد شويخ، و فيلم "صراح الحجر" في 1985 لعبدالرحمان بوقرموح في 1987 و فيلم "القلعة" لمحمد شويخ ،ومن الافلام السينمائية النسوية، فيلم "زردة او اغاني النسيان" الروائية اسيا جبار في 1982، و يعتبر ثاني لفلامها بعد فيلم "نوبة النساء جبل شنوة"في 1979، و فيلم "قصة لقاء" في 1983 لابراهيم تساكي،و فيلم" لوس وردة الرمال" في 1988 لرشيد بلحاج،و فيلم "سقف و عائلة " في 1982 للرابح العراجي.كما ارتبطت السينما الجزائرية في الثمانينات بالمشاكل الاجتماعية.(27).

اما بالنسبة لفترة التسعينيات و هي فترة العشرية السوداء، فقد مرت الجزائر بفترة صعبة جدا، و غادر العديد من المثقفين و الفنانين، و عرفت السينما ركودا و افلاس فني، فتخلت الدولة عن هذا القطاع، وحلت المراكز السينمائية التي كانت تشرف عليها الدولة، ففي سنتي 1998و1999 حلت كل من الوكالة الوطنية، للاحداث الفلمية ANAF، ENPA، و المركز الوطني للفن و الصناعة السينماتوغرافية CAAIC.ولكن رغم ذلك فلقد استمرعدد من المخرجين في تقديم أعماله، كفيلم

"اطفال النيون" لابراهيم تساكي، و فيلمي "شرف القبيلة" في 1993 وفيلم "اضواء"في 1992 لمحمد زموري، وفيلم "ليلة القدر"في 1997 للسيد السليماني، وفيلم "الخريف "لمالك حامينة،وفيلم "يوسف اسطورة النائم السابع"في 1993 لمحمد بشير شويخ،و فيلم "باب الواد سيتي"في 1994 لمرزاق علواش، و فيلمي "شاب" في 1991 ،و فيلم "امراتان" في 1991 لعمار تريبش، وفيلم "سلام يا بن العم"في1996 لرشيد بوشارب، والفيلم الكوميدي "كرنفال في دشرة في 1994 لمحمد اوقاسي، ومن الافلام الامازيغية نجد: "جيل باية"في 1997 لعزالدين مدور(28).

4)-السينما الجزائرية في الالفية الثالثة:

صارعت السينما الجزائرية في هذه المرحلة، من اجل إثبات نفسها، جراء الأزمة التي مرت بها وتخلي الدولة عنها هذا من جهة، ومن جهة أخرى التمويل الأجنبي الذي يفرض شروط على المخرجين حول مواضيع أفلامهم،هذه الظروف أفرزت سينما قائمة على الدعم الجانبي، و قد وجدت ثلاث أنواع من الإنتاج:إنتاج جزائري قليل في إطار المناسباتية (كتظاهرة ألفية الجزائر 2000،تظاهرة الجزائر بفرنسا2003، و الجزائر عاصمة الثقافة العربية2007)،و إنتاج مشترك، و إنتاج أجنبي و بالأخص بفرنسي.وقد شهدت هذه المرحلة اهتمام بمواضيع مختلفة و متشعبة، كما تناولوا المخرجون الجزائريون في مواضيعه في بداية الأمر فترة العنف التي عاشتها الجزائر، ومن بين هذه الأفلام، "رشيدة" في 2003 لمحمد شويخ، "المنارة" لبلقاسم حجاج، "بركات" في 2006 لجميلة صحراوي وهوانتاج مشترك بين الجزائر و فرنسا ، و فيلم "مال وطني "في 2009 لفاطمة بلحاج، "العالم الاخر" فيث 2001 لمرزاق علواش، "شاي آنيا"لسعيد ولد خليفة.كما شهد موضوع الثورة الجزائرية حضورا في السينما، و لكن بشكل بشكل مغاير، وهدفها التعريف بالقضية الجزائرية من خلال تناول كفاح كفاح الشعب وتضحياتهمن اجل الحرية، وويلات و بطش الاستعمار، ومن أهم الخرجين: لخضر حامينة، جمال شندرلي، و الفرنسي رونيه فوتيه،ومن بين الفلام المشهورة ،فيلم "معركة الجزائر" في 1966 للايطالي جيلو بونتي كورفو و الفائز بجائزة "الاسد الذهبي" في مهرجان برلين ، و الذي منع من العرض الى غاية عام 2004، ضف الى ذلك: فيلم"شرف القبيلة"لمحمدزموري، "الاهالي او البلديون" في 2006 لرشيد بوشوارب، "خراطيش قلواز" في 2007 لمهدي شارف،"مصطفى بن بولعيد" في 2007 لاحمد راشيدي. كما حظيت المرأة وهمومها في هذه الفترة باهتمام

المخرجين، و قد تناولت قضايا حساسة، كظاهرة الاغتصاب ، الدعارة...، ومن بين هذه الافلام: "ما وراء المراة " لنادية شرابي، "دليس بالوما و فيفا لالجيري"في 2007 لنذير مقناش و التي مولته وزارة الثقافة الجزائرية.ومن بين الاعمال المقتبسة من الروايات نذكر:رواية"زينب"من تاليف محمدحسين هيكل وإخراج محمد كريم،والتي ظهرت على الشاشة مرتين، مرة فيلم صامت عام 1930، ومرة في فيلم ناطق عام1952، و رواية "العصا و الافيون" للروائي الامازيغي مولود معمري،والذي اخرجه احمد راشدي في 1969، ورواية "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة والذي أخرجه محمد سليم رياض في 1975.ومن المسرحيات التي حولت الى افلام سينمائية: مسرحية "حسن طيرو" لرويشد والتي افلمها لخضر حامينة في 1968، ومسرحية "الغولة" لرويشد و التي افلمها مصطفى كاتب في 1972، ومن بين الافلام التي لجات نسبيا الى الادب: مساهمة الروائي مولود معمري في كتابة السيناريوو التعليق لفيلم"فجر المعذبين" والذي اخرجه محمد راشدي في 1965، وكتابة الروائي رشيد بوجدرة لسينتاريو فيلم "علي في بلاد السراب" و الذي اخرجه احمد راي في 1978، وسيناريوفيلم "نهلة" لفاروق بلوفة في 1979.اما بالنسبة لأفلام الألفية الثالثة فنلاحظ تعامل السينما مع الأدب بصورة محتشمة، وهذا راجع الى هيمنة المخرج على العمل السينمائي في كل مراحله من الكتابة إلى الإخراج، لكن رغم ذلك فهناك أعمال سينمائية تعاملت مع الأعمال الأدبية ومن بينها:رواية "إغفاء الميموزا" لامين الزاوي التي حوله سعيد ولد خليفة إلى فيلم "شاي أنيا" في 2003، كما اقتبس الكسندر اركادي من رواية فضل الليل على النهار لياسمينة خضرا في إنتاجه لفيلم سينمائي من 120د في،كما حولت رواية "موريتوري" لياسمين خضرا"إلى فيلم سينمائي باللغة الفرنسية من إخراج عكاشة توتيا في 2007(29).

خاتمة :

كانت السينما في بداية الأمر وسيلة من وسائل الترويج و التسلية، لكن سرعان ما تحولت إلى وسيلة تثقيفية، تطرح العديد من المواضيع، وتعالج مجموعة من القضايا الإنسانية، فهي مرتبطة ببيئة ومحيط الإنسان، كما جسدت في اغلب اعملها تاريخه، سبل عيشه، مشاكله الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية و... وبالتالي أرخت حياته منذ ظهورها.

ولدت السينما الجزائرية في صلب الحرب التحريرية، ولكن رغم ذلك فقد تمكنت من الوصول إلى العالمية، و تجسيد مختلف القضايا الإنسانية، و لاسيما الدفاع عن قضية حرب التحرير، و توضيح الرؤية للعالم حول ظلم وبطش الاستعمار، وعن الجرائم الفرنسية المقترفة في حق الشعب الجزائري، كما عملت على تجسيد ثقافته من عادات و تقاليد، و تناولت كذلك واقعه المعاش.

من الملاحظ أن السينما غيرت من طرقها في معالجة القضايا الإنسانية، إذ أنها أصبحت تعتبر إحدى طرق التفكير و التأمل، وعليه يرجى الاهتمام بهذه الوسيلة التعبيرية و الاتصالية و التي تعمل على تناول أهم مواضيع الساعة بطريقة مختلفة تتطلب وعي المتلقي.

الهوامش :

(1)- voir : abdelghani megherbi, les algériens au mimoir du cinéma colonial, contribution a la sosiologie de la decolonialisation, édition S.N.E.D, 1982, p15.

(2)- ليزبيت مالكموس ، روى ازمر، السينما العربية و الإفريقية، ترجمة سهام عبد السلام، مراجعة هاشم النحاس،ط1، الهيئة العامة للشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، ص24.

(3)- المرجع نفسه، ص25.

(4)- المرجع نفسه، ص51

(4)-المرجع السابق.

(5)-voir : abdelghani megherbi, Référence Précédent, p59

(6) voir : Ibid, p63

(7)-voir : Ibid, p78

(8)- voir : Ibid, p41-p40

(9)-voir : Ibid, p77

(10)-الكسان جان، السينما في الوطن العربي، العدد51، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافةو الفنون و الاداب بالكويت، 1982، ص216.

(11)- المرجع نفسه.

(12)- voir : abdelghani megherbi, Référence Précédent, p72

(13)-عبدالقادر التلمساني، فنون السينما، المجلس الاعلى للثقافة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، 2001، ص137.

(14)- lotfi meherzi, le cinima algérien institution, imaginaire, idiologie, édution sned, alger, 1980, p62.

(15)- cinéma, production cinématographique,1957-1973, ministére de l'information et de la culture/ service des arts audio – visuels/ p12.

(16)- الكسان جان، السينما في الوطن العربي، العدد51، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافةو الفنون و الاداب بالكويت، 1982، ص217.

(17) المرجع نفسه، ص218.

(18)- المرجع نفسه، ص.ص،219.

(19)-lotfi meherzi op cit, p133

(20)- الكسان جان، المرجع السابق، ص 220.

(21)- voir : cinéma, production cinématographique, 1957-1973, op cit, p.p,104 ;106 ;108.

(22)المرجع نفسه، ص.ص،222-232.

(23)-المرجع نفسه، ص235.

(24)- منصور كريمة، مذكرة دكتوراه، اتجاهات السينما الجزائرية في الالفية الثالثة، جامعة وهران، 2012-2013، ص62.

(25)-الكسان جان، المرجع السابق، ص.ص،235-236

(26)- ليزبيت مالكموس، مرجع سابق، ص102.

(27)- منصور كريمة، مرجع سابق، ص.ص،66-72.

(28)- المرجع نفسه، ص.ص،73-74.

(29)-المرجع نفسه،ص-ص، 133-196.